قُم لهذهِ المعلمة

يزخر التاريخ بالشخصيات المبهرة بإنجازاتها، ببطولاتها، بفنها.. بأشياء كثيرة.. نعجب بهذه الشخصيات.. نستمتع بترديد حكايا بطولاتها، إلا أننا كثيراً ما ننسى من ساندها ممن حولها ومهد الطريق لإنجازاتها لترى النور، ولها لتجد حيّزها في التاريخ..

كل الناس يعرفون هيلين كيلر، ولكن كم شخص يعرف آن سوليفان المعلمة التي لزمتها خمسين عاماً تقريباً فكانت خلف عظمتها؟

هيلين كيلر، المرأة التي انتصرت على حاجز العمى والصمم والبُكم الذي داهمها وهي طفلة لا يزيد عمرها على العام والنصف -أي بلا لغة- فتألقت كمحاضرة وككاتبة تستطيع التعبير عن أدق الأحاسيس، وكمواطنة ذات موقفٍ سياسي، لم تصنع إنجازها وحدها، ثمة معلمة كانت وراء معظم ما تعلمته.

علمتها الكلمات إشارةً وكتابة وقرأءة..

خرجت معها إلى الحقول والأماكن المختلفة وجعلتها تلمس كل شيء وتشم كل شيء لتحظى بصورةٍ متكاملةٍ عن عالمٍ لا تراه ولا تسمعه.. ثم انطلقت إلى ما لا يُدرك باللمس والشم أصلاً.. إننا حقاً لا نستطيع أن نتخيل عظمة هذه المعلمة إلا إذا تخيلنا محاولة تعليم إنسان بلا لغة مفاهيم معنوية مثل الحب والشجاعة والرجاء والإباء..

بعدها جلست معها على مقاعد الدارسة بالجامعة لتترجم لها بلغة الكفّين ما يقوله الأساتذة.. ثم توجت كل ذلك بمساعدتها في الخروج من الصمت بجعلها تتلمس الشفتين ومخارج الحروف أثناء خروج الأحرف إلى أن حققت حلمها بالتحدث من فمها مثل كل الناس وإن افتقر كلامها قليلاً إلى الوضوح لمن لم يعتد على سماعها..

آن سوليفان وهيلين كيلر

إنني حقاً لا أجد وصفاً يليق بهذه المرأة.. وما الجائزتان اللتان حصلت عليهما في حياتها والجائزة التي سُميت باسمها لمعلمي ذوي الإعاقة المتميزين إلا شيء بسيط جداً مما تستحقه هذه المعلمة..

نشر بمحلق الشرق الثقافي بتاريخ ٢٠١٣/١١/٢٤م

الصورتان أخذتا من ويكيبيديا الموسوعة المجانية